صراع

مجموعة أقاصيص للاستاذ شاكر خصباك

القصة العراقية لم تشهد النور إلا منذ أمد جد قصير ...

فالمحاولات الأدبية الأولى لإنشاء قصص عراقية كانت تصاب بالإخفاق ، أو تنحرف عن الميدان القصصي الفني فتكون أشبه بالحكايات التي لا تمس الواقع ، ولا يصلها بالفن القصصي سبب الأسباب .

ذلك لأن تلك المحاولات لم تقم على أساس متين من الدراسة والتفهم العميق للفن القصصي ؛ لأن المضطلعين بها لم يكونوا مطلعين على الأدب الغربي ، وغير متفقين ثقافة عامة شاملة .. لأن القصة تحتاج إلى كثير من الخبرة ، والإدراك ، والمعرفة ، وسبر الحياة ، وخوض غمارها ؛ ثم تأتي الموهبة القصصية لتبرز لك الفن القصصي مزيجاً من كل هذه الأمور .

وكان الأدباء العراقيون — قبل أكثر من عشرين سنة — يرون القصة المصرية تشق طريقها في ميدان الإنتاج الأدبي ... وكان هذا اللون الجميل الجديد يدفعهم دفعاً إلى محاكاته ؛ فيحاولون تقليده والسير على منواله ، من غير أن يفقهوا فن القصص ؛ ومن غير دراسة فنية لأصوله .

هذا سبب من أسباب تأخر القصة العراقية ... ويمكننا أن نضيف إليه سبباً آخر وهو ما يتصل بالأحداث والتقلبات التي هزت العراق في الفترة الأخيرة ، وانصراف الناس إلى السياسة وقد كان الشعر مبرزاً في ميدان إيقاد الحماس ، وإيقاظ الهمم ، وإذكاء نيران الوطنية في القلوب

أما القصة فلم يكن ثمة مجال لظهورها لعدم وجود قصصيين يملكون ناصية الفن القصصي بحيث يؤثرون في نفوس الجماهير ويوجهونها نحو الوجهة الوطنية الصحيحة . أضف إلى ذلك عدم استعداد الجمهور لقراءة القصص واستساغتها ، لأن القصة في مثل هذه الأحوال لا تثير ما يثير الشعر

ولكن بعض المحاولات القصصية كانت تظهر بصورة حكايات وأحاديث ... ونحن حين نستثني رائد القصة العراقية الأول المرحوم محمود السيد صديق الأستاذ نيه ورفي الجهاد ، لا نرى إلا محاولات فاشلة القصد منها العبرة والانتباط والإسراف في الخيال .

ثم جاءت بعد ذلك كتابات جعفر الخليلي ، وعبد المجيد لطفي ، أو حكاياتهما على الأصح ، فهذان الأديبان لبعدهما عن تفهم القصة الحديثة ، ولجهلهما الأدب الغربي الحديث ، فشلا في أول عهدهما ولكن بعض الأمل تسلل إلى القلوب عند قراءة نتاجهما في العصر الحاضر ، وهما — بعد كل هذا — مشكوران لأنهما يمثلان مرحلة من مراحل القصة العراقية .

ثم تأتي المرحلة الثانية في قصص شالوم درويش ، وذو النون أيوب ، فقد استطاع هذان القصصيان أن يرقيا بالفن القصصي العراقي درجات ، ويدفعاه إلى الأمام ، فقد أصابا حظاً ليس فيه بأس من الاطلاع على القصص الغربي ، وتفهما العناصر الجوهرية في الفن القصصي ، وكانا يعملهما الحياة ، ولا يشطان في دنيا الرومانسيه .

وجاءت المرحلة الثالثة — وهي دور الشباب . فقد برغ بعض الشبان في سماء القصة ، ومنهم يُرجى الخير ، وعليهم تعقد الآمال ... ولكنه يخيل إلي أن جريرة الصحافة المصرية الصفراء تلاحقنا ونحن في ديارنا ، فتفسد أذواق الشباب ، وتتحكم بنزعات بعضهم ، وتصرفه عن العمل الجدي المنظم ، وعن التفكير الصادق السديد وعن إدراك الأمور إدراكا شاملاً واعيا . . ومما لاشك فيه أن الصحف المصرية تطغى على الأسواق العراقية ، وأن قصصها الداشة النكراء غير الناضجة ذات تأثير على نزعات الشباب . . وأغلب قصاصي المجلات لا يستهلهم الحياة ، ولا يراعي مقاييس الفن ، بل يحتلهم الطبع الفاسد ، ويراعي مقاييس المجلات الجائرة . . .

ولكن شيئاً من الاطمئنان يسري في نفسي عندما أجد بوادر السخط عند الشباب العراقي ، وعند الذين حصنوا أنفسهم بثقافة ومعرفة واسعتين .

والكتاب الذي أعرضه على القارىء الكريم الآن (صراع) لقصصي عراقي شاب لا أكون مغالياً لو قلت إنه خطا خطوة

رائعة موفقة فى مضمار القصة العراقيـة ، وهو على رغم بعض المـآخذ يبرز بين القصة العربية الناجحة عالى الرأس ...

والمؤلف شاب ، له أحلامه ونزعاته ، وميوله ، ونفس متوقدة حساسة ، تستلهم الحياة فيبرز لنا نواحى خافية خير ما يقال فيهـا إنها تقع فى محيطنا ولـكننا نتغاضى عنها ، لاننا نحفل دائماً بالحوادث والفاجئات ، بأقاصيص البطولة والشجاعة ، أما الحوادث الصغيرة الساذجة الغنية بالاحاسيس ، والانفعالات النفسية فإننا نضرب عنها كشحاً ، ولا نميرها أى إلتفات ...

ولـكن الأستاذ شاكر خصباك يدرك تمام الادراك هـذه الحقيقة فى فن الأقاصيص فتراه لايحفل الحوادث والمفاجئات ، بل يخلق من الحوادث الصغيرة الساذجة عملاً فنياً باطار من التحليل النفسى ، وبخلق الجو المشوق الذى يدفعك إلى الاعتراف بأن للكاتب موهبة فنية ، ووعياً تاماً فى جميع الأمور ... وأغلب أقاصيص الأستاذ شاكر حافل بهذا النوع من التحليل النفسى ... وتلك فضيلة أسجلها للمؤلف من غير إجحاف ...

فى الـكتاب « أقاصيص » أول ما يطالبك فيها ، تحليل نفسى موفق ، وجو قصصى كامل ، وموهبة فنية رائعة ، وإذا بتلك الحادثة الصغيرة تحمل إليك ظلالاً من الإحساس ، وحياة عامرة بالمشاعر ، وحركة فى نبض الحس ، وفيض الشعور .

انظر إلى اقصوصة «عذاب» التى أعدها من أروع الأقاصيص العربية تجدها كما قلت لك : حادثة بسيطة ، وتحليلا نفسياً رائعاً وموهبة فنية تنظم الحركة ، وتبعث الحياة ، وتعمق الظلال . .

وخلاصة أقصوصة « عذاب » أن شـاباً كان يتمشى على شاطىء النهر ، مرتدياً بذلة جديدة ، يرى طفلاً يصارع الموج ، على شفا الغرق . . ويحاول الشاب إنقاذ الطفل ، ولـكنه يتردد بين خلع ملابسه الجديدة ، وإنقاذ الطفل الموشك على الغرق ، وبين المضى فى طريقه كأن شيئاً لم يحدث ، وليس ثمة عين تراه . ويتردد الشاب ، ويطيل التردد ، حتى يبتلع النهر الطفل ، وينقطع صراخه . . ويمضى الشاب فى طريقه ، ثم تقوده المصادفة إلى نواح نائحات ، وبكاء باكين ، وسرعان ما يتبين أن النائحات والباكين هؤلاء هم أهل الغريق . . وهناك ينشب الصراع بين ضميره فيعذبه ، وتشقيه الهواجس والظنون حتى يحاول الانتحار .

هـــذا الحادث تصوره ريشة ماهرة فى إلتقاط الصور ، وإكتشاف مواقع الإحساس ، وخلق الصور الإنسانيـة ، والظلال النفسية ، فتخلق لنا أقصوصة من أروع الأقاصيص . .

وهناك أقاصيص بالغة الروعة ، وافرة الحظ من النجاح ، منها « دكتور القرية » وهى صورة كاملة الملامح ، قوية السمات ، فيها سـخرية لاذعة ، وتصوير رائع . ومنها « عجيب » وهى أقصوصة تبرز لك مقدرة الأستاذ شاكر على الخلق القصصى ، وبعث الحركة والحياة بما فيها من انطلاق وعبث الظروف . .

وإلى هنا نقف مع محاسن هذا الكتاب ، فما هى مآخذنا عليه ؟

يبدو لى أن ميل الأستاذ خصباك إلى دراسة المجتمع يغلب فنه القصصى فى بعض الأحايين فتختفى روعة القصة ، وينفرط السلك القصصى ، وتبدو القصة أشبه شىء بتجربة طبيب نفسانى .. ولولا مقدرة الـكاتب على إنشاء الفن القصصى لانهـدم صرح أقاصيصه إنهداما تاماً ..

وكم وددت لو أنقى الأستاذ عن عاتقه ذلك القانون الصارم الذى سنه لنفسه إذن لأنشأ قصصاً رائعة كل الروعة ، ولـكان غير ما هو الآن فى بعض أقاصيصه

فالا جدر بتلك الموهبة القصصية المتوقدة أن تنطلق فى ميدان الحياة من غير قيود ، وتسبح فى أجوائها من غير وازع ، وتلقط الصور من غير تمييز .. وذلك الميل الجارف لدراسة المجتمع يضفى على أشخاص المؤلف بعض الندرة ؛ فأنا لا أنكر أن أشخاصه جميعاً موجودون ؛ ولـكن بعضهم نادر . فالمؤلف يؤمن « بأن العواطف الحبيسة تقود أصحابها إلى الشذوذ الجنسى .. » وتراه ينطق هذا القانون فى لهجة ساذجة أثناء أقصوصة من أقاصيصه وهى « أحلام ضائعة » فأنظر إليه كيف سخر قصته لإقرار هذا القانون أو هذه البديهية : زاهدة فتاة تعيش فى بيئة عراقية محافظة « وفى نطاق من تدابير إحترسها المحافظة ، فلا تفسح لها المجال للاتصال بالعالم الخارجى ، ولا تسمح لها بمباوحة البيت إلا لماماً . « هذه الفتاة فى هذا السجن الناطق تخدع جماعة من الشبان ، واحداً بعد آخر ، وتوهمهم

بأنها تحبهم !! .. وإذا سألت : من أين جاءت هذه الفتاة بهذه الجرأة ؟ . أجابك المؤلف : من الباطنة الحبيسة .. هذا شيء معقول .. ولكن التصريح بهذا أضعف الاقصوصة

و « صراع » و « بداية النهاية » على هذه الشاكلة يحاول المؤلف البرهنة على قانونه . والملاحظ أن بعض الثغرات تبرز في القصة حين يحاول المؤلف الخروج عن الجو القصصي .. ففي « صراع » يعرض علينا المؤلف « فاطمة إمراة متعطشة ، قوية الغريزة الجنسية ، تتعرف بصبي تحاول معه أن تشبع غريزتها الجنسية ولكن والدة الصبي تكشف ذلك فتأتي ثائرة ساخطة ، مزمجرة معربدة .. وفي هذا الجو المكهرب الساخط تسرد فاطمة قصتها محاولة تبرير ذنبها ومسلكها الشائن ، فتبرد عند ذلك الاقصوصة والحق أن منطق الحياة لايقبل ذلك .

وقصة « صراع » لولا هذا الاقحام الأخير لكانت من غير الاقاصيص .. ويخيل إلى أن شغف المؤلف بدارسة المجتمع ، وتبين العلة أفسد عليه الجو القصصي .. فنحن نعرف أن كل علة وراءها مسبب ، ولكن ليست القصة مقالة إجتماعية ، تصف العلاج ، وتشخص سبب الداء .. ولتدع ذكر العبرات لمخيلة القارئ ولتأويله — فالقارئ أولى الناس بمعرفة ذلك ، وإدراكه ..

وخلاصة المطاف أن هذا الكتاب بمحاسنه وبمساوئه — نصر جديد للقصة العراقية ، ومحاولة ناجحة لانشاء قصص عراقية ناجحة في رأي الفن ، وفي رأي الحقيقة ،

غائب طعمة فرمان

احمد حسن الزيات

يقدم

دفاع من البلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسباب التذكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ

من فصوله المبتكرة المعروفة ، الأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة الكتابة ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغه من هؤلاء وأولئك .. الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

تاريخ الادب العربي

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات في ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد